الأهداف المرجوة
من تدريس مادة التفسير
تهذيب أَخلاق الطّالب / أنموذجاً
دراسة تطبيقيّة عصريّة

الدكتور
عمر عبد الوهاب عمر
دائرة المؤسسات الدينية

الأستاذ المساعد الدكتور
أنس عبد العليم السعدي
كلية الامام الاعظم
قسم اصول الدين/ الانبار

المقدّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فلكل مادة دراسية أهداف معينة، يراد من خلالها دفع عجلة العلم نحو الأمام، وإنشاء جيل يتعلم تلك العلوم حتى يصل إلى النتائج المرجوة منها، ومن أهم المواد الدراسية التي يجب على الطالب أن ينهل منها تفسير القرآن الكريم، حيث إنه أساس العلوم وبه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن خلال قراءتيللأهداف الموضوعة لمادة التفسير في المدارس العامة، سواء في العراق أم في الدول العربية المجاورة له، وجدت أنها متشابهة وتتلخص في النقاط الآتية:

١. سلامة الفهم لكتاب الله تعالى في ضوء قواعد اللغة العربية، وتفسير القرآن الكريم، وتفسيره في ضوء الحديث النبوي الشريف.

٢. غرس الإيمان والاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم هو دستور الإنسان في هذا الوجود، ولن تصلح الإنسانية بغيره.

٣. ربط معاني القرآن الكريم بأوضاع الحياة العملية وبباقي العلوم الاسلامية ليكمل للقارئ حسن تذوق آياته البينات.

٤. تكوين القدرة على استخلاص الأحكام والمعاني واستنباطهامن آيات القرآن الكريم.

٥. إظهار جوانب الإعجاز المختلفة في القرآن الكريم وذلك من الناحية العلمية والتربوية والأدبية.

٦. تحقيق التأثر القلبي والوجداني لدى المتعلمين من خلال فهمهم لمعاني الايات التي يتلونها.

ومن خلال تجربتي في تدريس مادة التربية الإسلامية ومن ضمنها (علم التفسير) وبخاصة في الثانويات العامة، رأيت أن من أهم الأهداف المرجوة من هذه المادة، هو تهذيب أخلاق الطالب، وتنشئته النشأة الصالحة التي يكون من خلالها قدوة للآخرين في جميع نواحي الحياة، فالأخلاق هي اللبنة الأولى في تكوين شخصية الطالب، والارتقاء بها نحو درب النجاح والفلاح.

والسبب الذي دعاني إلى التعويل على هذا الجانب، هو أن القرآن الكريم قد اشتمل على نظام أخلاقي متكامل، يمكن للطالب أن يستفيد منه بالمتابعة مع معلمه في مسيرة حياته العلمية، فينعكس هذا النظام على حياته العملية، ولاسيما في زمننا هذا الذي كثرت فيه الفتن.

إن الطالب اليوم وفي جميع مراحله الدراسية، ابتداء من المدرسة وانتهاء بالجامعة به حاجة إلى فهم دستور الأخلاق في القرآن؛ لأنه أساس الدراية، وبه يتوصل إلى كل غاية، وما وصل العلم في بلدنا إلى هذا التدني إلا بسبب فقد الأخلاق، وترك المنهج الرباني الذي وضع لنا دستورا في القرآن الكريم يمكننا من خلاله الحصول على السعادة في الدنيا والآخرة.

ويمكن القول إن القرآن الكريم لم يترك جانبا أخلاقيا إلَّا وأشار إليه، والهدف من ذلك إيجاد مجتمع متآلف متراحم، تسوده المودة والإخاء، والمحبة والاحترام،فتصبح الأخلاق الواردة في القرآن الكريم واقعا حيا وعمليا، وليست نظرية كباقي النظريات التي تُقرأ دون عمل أو تطبيق.

وسأبين نماذج من الأَخلاق القرآنية لكل مبحث من المباحث، وكيفية تطبيقها على المجتمع عامّة، وعلى الطالب في جميع المراحل الدراسية خاصّة، كي نصل الى الأهداف المرجوة من كتاب الله عز وجل .

وقد قسمنا البحث إلى مقدمة و خمسة مباحث وخاتمة، المبحث الأول: كان في الأخلاق ومفهومها وأهميتها، أمّا المبحث الثاني: فكان في أخلاق المسلم مع ربه من خلال ايات القرآن الكريم، واما المبحث الثالث: فيبين أخلاق المسلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان في المبحث الرابع: في أخلاق المسلم مع نفسه، والمبحث الخامس والاخير: كان في أخلاق المسلم مع أسرته ومجتمعه.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
الأخلاق مفهومها وأهميتها

١. مفهوم الأخلاق:

الأخلاق جمع خلُق بضم الخاء المعجمة وبضم اللام وسكونها((والخُلْق والخُلُق: السَّجيّة. يُقَالُ: خالِص المُؤْمنَ وخالِق الْفَاجِرَ. وَفِي الْحَدِيثِ:((لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْمِيزَانِ أَثْقلَ مِنْ حُسن الخُلُق)).[١]

والخُلُقُ، بِضَمِّ اللَّام وَسُكُونِهَا:هُوَ الدِّين والطبْع وَالسَّجِيَّةُ، وَحَقِيقَتُهُ أَنه لِصورة الإنسان الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نَفْسه، وأَوصافها وَمَعَانِيهَا المختصةُ بِها بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وأَوصافها وَمَعَانِيهَا)).[٢]

ويضيف الفيروز آبادي معاني أخرى للأخلاق فيقول:((والخُلْقُ، بالضم وبضَمَّتَيْنِ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ، والمُروءةُ والدينُ)).[٣]

ويبين الأصفهاني أصل الخُلُق، وفي أي موضع يضم لامه أو يسكن، فيقول: ((وأما الخُلُق في الأصل فهو كالخَلق كقولهم الشَرْب والشرُب، والصَّرْم والصُّرُم، لكن الخُلُق يقال في القوى المدركة بالبصيرة، والخَلْق في الهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وجعل الخلق تارة للقوة الغريزية.)).[٤]

---

(١) سنن الترمذي: ٣/ ٣٦٣ (٢٠٠٣)، وقال: ((هذا حديث غريب من هذا الوجه)).

(٢) لسان العرب ١٠/ ٨٦، (باب الخاء، مادة: خلق).

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م:ص٨٨١،(باب القاف، فصل الخاء، مادة: خلق).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م: ص٩٦.

ثم بين معنى الأخلاق في موضع آخر فقال: وقُرئ: (إِنْ هذا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ)[1] - بفتح الخاء وسكون اللام -[2] والْخَلَاقُ: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه، قال تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[3]، وفلان خليق بكذا، أي: كأنّه مخلوق فيه، ذلك كقولك: مجبول على كذا، أو مدعوّ إليه من جهة الخلق)).[4]

ومن خلال الإمعان في التعاريف اللغوية، نجد أن كلمة الأخلاق إذا أُطلقت فإن المراد منها: السجية والطبع والمروءة والدين والفضيلة.

وقد لخص (يالجن)[5] ثلاثة معان بارزة من خلال التعريفات اللغوية الواردة في معنى الأخلاق:

الأول: الخُلُق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة

---

(١) سورة الشعراء من الآية:١٣٧.

(٢) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر والكسائي، [ينظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد محمد البنا (ت١١١٧ه)، تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب - بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م: ٢/ ٣١٨].

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٠٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن:ص٢٩٧.

(٥) مقداد يالجن محمد علي. أستاذ جامعي، تركي، درس في مدارس سوريا المتوسطة، والتحق بعد ذلك بالثانوية الأزهرية ثم بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. وقد حصل بعد ذلك على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٦٧م، وعلى الماجستير في عام ١٩٧١م، كما حصل على دبلوم في التربية.

وفي عام ١٩٧٦م، حصل على درجة الدكتوراه. عمل بالتدريس في كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، ثم عضوًا بهيئة التدريس في قسم التربية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. من أشهر مؤلفاته التي نُشرت، اثنا عشر كتابًا في مجال التربية الإسلامية والمجالات القريبة، منها: جوانب التربية الإسلامية؛ أهداف التربية الإسلامية. علاوة على أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً في مجالات مختلفة، حاز جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

[ينظر: http: / /shamela.ws /index.php /author /1568].

متناسقة.

والثاني: تدل الأخلاق أيضا على الصفات التي اكتسبت وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته.

والثالث: أن للأخلاق جانبين: جانبًا نفسيًّا باطنيًّا وجانبًا سلوكيًّا ظاهريًّا)).[1]

وأما في الاصطلاح فقد عرَّف العلماء الأخلاق بتعريفات كثيرة، أهمها:

١. تعريف ابن مسكويه ، فقد عرَّف الأخلاق بأنها:((حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية . وهذه الحال تنقسم الى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب ، وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه ، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أي شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله . ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب ، وربما كان مبدؤه الفكر ، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً)).[2]

٢. ما ذهب إليه الغزالي حيث وضَّح حقيقة الخلق بأنها : ((عبارة عن هَيْئَةٌ فِي النَّفْسِ رَاسِخَةٌ، عَنْهَا تُصْدِرُ الْأَفْعَالَ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ، فَإِنْ كَانَتِ الْهَيْئَةُ بِحَيْثُ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ الْمَحْمُودَةُ عَقْلًا وَشَرْعًا، سُمِّيَتْ تِلْكَ الْهَيْئَةُ خُلُقًا حَسَنًا، وَإِنْ كَانَ الصَّادِرُ عَنْهَا الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ سُمِّيَتِ الْهَيْئَةُ الَّتِي هِيَ الْمَصْدَرُ خُلُقًا

(١) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ط٢، الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ص٣٤.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ابن مسكويه ، تقديم : حسن تميم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت:ص٥١.

سَيِّئًا)).[1]

٣. وقدعرَّف الدكتور عبد الكريم زيدان الأخلاق بأنها:((مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه)).[2]

وهذا التعريف مستنبط مما ذهب إليه الغزالي، وفيه دلالة واضحة على أن الانسان فُطر على تمييز الأشياء الطيبة من الخبيثة، والحسنة من السيئة.

٤. وعرَّفه الدكتور محسن عبد الحميد وآخرون بأنه:((مسلك الإنسان، وهو نشاط الفرد في المجتمع البشري وميوله اللازمة نحو نظام الجماعة، واتجاهاته الفكرية نحو من يحيط به من الناس، سواء أكانت هذه الأمور نافعة للجماعة أم ضارة، فالخلق الفاضل هو ما ينفع الفرد والمجتمع، وأما الخلق الوضيع فهو ما يعود بالضرر على الفرد والمجتمع)).[3]

٥. ويرى الميداني[4] أنه وبعد التمعن والنظر في معنى الأخلاق تبيَّن أنه: ((صفة

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت: ٣/ ٥٣.

(٢) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ت١٤٣٥هـ)، ط٣، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م: ص٧٤.

(٣) طرائق تدريس التربية الإسلامية، محسن عبد الحميد وآخرون، مطبعة أوفسيت الوسام، بغداد، ٢٠٠٣م: ص٧٢.

(٤) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، درس الشيخ عبد الرحمن في «معهد التوجيه الإسلامي»، الذي أنشأه والده رحمه الله، الذي تخرج منه جل علماء دمشق المعاصرين، ثمَّ درس الشيخ في الأزهر الشريف، وعمل بعد تخرُّجه في مديريَّة التعليم الشرعيِّ التابعة لوزارة الأوقاف السوريَّة، ثمَّ عضوًا لهيئة البحوث في وزارة التربية والتعليم في سوريا، ثمَّ انتقل إلى السعوديَّة بعد ١٩٦٧ م، وعمل أستاذًا في جامعة الإمام محمَّد بن سعود في الرياض، ثمَّ أستاذًا في جامعة أمِّ القرى في مكَّة قرابة ثلاثين عامًا.
شُغِلَ الشيخ بالردِّ على "أعداء الإسلام"، والتصدِّي لما يُسمَّى "بالغزو الفكري"، حتى لقَّبه أحد زملائه بـ "أبو الغزو الفكري والثقافة الإسلاميَّة».

مستقرة في النفس - فطرية أو مكتسبة - ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة)).[1]

٦. وأما يالجن فقد عرف الأخلاق في مفهومها الإسلامي بأنها عبارة عن: ((مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه)).[2]

ومن خلال النظر في هذه التعريفات، أرى أنها لا تبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي، فكلّهاتدور حول المفاهيم الأخلاقية، التي يراد منها بناء الشخصية السليمة للفرد.

بقي أن نعلم أن الأخلاق ليست كلها مكتسبة، كما أنها ليست موهوبة، وإنما تكون نتيجة تضافر الفطرة السليمة مع دلالة العقل المستقيم في إدراك جانب من الأخلاق ثم يأتي الشرع ليكمل الفطرة، ويحمي العقل، وذلك من خلال وضع القواعد العامة التي ترقى بالفرد والمجتمع من الوجهة الخلقية.

لذا نجد الناس بفطرتهم ومع وجود الظروف الملائمة يميلون إلى الصفات الحميدة، ويشعرون بالراحة النفسية عند ممارستها، وينفرون من الطباع السيئة، فإذا ظهرت منهم إساءة استشعروها وعلموا أنها ليست من الأمور الحسنة، وهذا ما يمكننا التماسه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ

لكن إسهامات الشيخ تعدَّدت وتنوَّعت في مجالاتٍ متعدِّدة.. في العقيدة، والدعوة، والأخلاق، والدراسات، القرآنيَّة، وسلسلة أعداء الإسلام.. "اليهود - الشيوعيَّة - التيَّارات المعاصرة - الغزو الفكري.." وغيرها، ومن مؤلفاته: العقيدة الإسلاميَّة وأسسها، والأخلاق الإسلاميَّة وأسسها، وقواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله، وأجنحة المكر الثلاثة.=

= توفي رحمه الله في ليلة الأربعاء ٢٥ من جُمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ، الموافق ١١ / ٨ / ٢٠٠٤م. [ينظر: http: / /shamela.ws /index.php /author /٩٠٧].

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٥، دمشق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ص١٠.

(٢) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٧م: ص٧٥.

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».(٣)

وبعد التمعن في هذا الحديث، نُدرك جيدا أن النفس البشرية تستشعر كل بر أو إثم، حتى ولو وصلت إلى أقصى مرحلة من الانحطاط الأخلاقي، لكنها يمكن أن تلتمس البِّر إن وجدت البيئة السليمة التي تتربى في أحضانها، والرادع الذي يردعها إن هي انحرفت عن مسارها، أما إذا نبتت في بيئة سيئة ليس فيها واعظ ولا رادع، فستخوض في بحر المعاصي والمنكرات، لكنها ومع وقوعها في هاوية الانحطاط تستشعر أنها تسير عكس الفطرة الربانية. نسأل الله العافية.

٢. أهمية الأخلاق:

إن أي مجتمع من المجتمعات لا يمكن لأفراده أن يعيشوا متفاهمين متراحمين سعداء، ما لم تسودهم الأخلاق وتكون الرابط المتين الذي يجمع شملهم ويوحد صفهم.

ولو بنيت المجتمعات على أساس الماديات والمنافع، لاختل نظامها وأصبحت ضائعة ومشتتة، فالأخلاق هي الحصن الحصين والأساس المتين الذي يحفظها، ومتى فُقدت فُقد الأمان، وضاعت حقوق الإنسان، وتفكك المجتمع، واتجه نحو الهاوية والدمار.

وإنما كان اهتمام الاسلام بالاخلاق بهذا المستوى العالي، لأنه حرص على إنشاء مجتمع سليم ومعافى من كل داء، ولأنه يُدرك جيدا أن ضياع الأخلاق يعني ذلك انتشار الغش والسرقة، والكذب، وسفك الدماء.

وتتبين لنا أهمية الأخلاق من خلال الجوانب الآتية:

(٣) المسند الصحيح المختصر، (صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت:٤/ ١٩٨٠ (٢٥٥٣).

١. ((أهمية الأخلاق بعَدِّها من أفضل العلوم وأشرفها، ذلك أن علم الأخلاق- بالتعريف المختصر- هو علم الخير والشر والسلوك النافع والضار، والطيب والخبيث، ولهذا عندما يحاول بعض العلماء بيان قيمة علم الأخلاق بالنسبة للعلوم الأخرى فمنهم من يقول: إنه إكليل العلوم جميعًا، ومنهم من يقول: إنه تاج العلوم، ومنهم من يقول: إنه زبدة العلوم، ذلك أن العلوم الأخرى أساسا تساعد على الأخلاق في الكشف عن الخير والشر، وعن النافع والضار، وهما موضوع الأخلاق، ولهذا أيضًا فإن علم الأخلاق يستعمل العلوم الأخرى في الكشف عن مهمته وتحقيق أهدافه، وتُعَدّ تلك العلوم وسائل معينة لتحقيق هذا العلم.

٢. إن السلوكيات الأخلاقية وآدابها هي التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، فالآداب زينة الإنسان من حيث الجنس والأكل والشرب والنظافة، وتذوق السلوك الجميل وتمييزه عن السلوك القبيح، والبحث عن أفضل العلاقات وأحسنها في المعاشرة والمحادثة والتعاون والتآلف وتبادل المحبة والإكرام والإحسان والتراحم والتعاطف وغيرها.

ولهذا فالآداب الأخلاقية زينة الإنسان وحليته الجميلة، وبقدر ما يتحلى بها الإنسان يضفي على نفسه جمالا وبهاء، وقيمة إنسانية)).[1]

ويضيف الدكتور عبد الكريم زيدان: ((إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، وما أصدق كلمة الإمام الغزالي إذ يقول في احيائه «فان كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة» فأفعال الإنسان، إذن موصولة دائما بما في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها

(١) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: ص٧٥.

المغيبة في التراب. ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الانسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، إذا صلح الاصل صلح الفرع، وإذا فسد الاصل فسد الفرع﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾(١)).(٢)

٣. أهمية الأخلاق من حيث إن هدفها تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية.

ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، وتنتشر أيضًا الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء، والنفور والتناحر والتكالب من أجل المناصب، ومن أجل المادة والشهوات، والشرور أصلًا سبب التعاسة والشقاء في حياة الفرد والجماعة، ولذا قال أحد الأخلاقيين الغربيين: إن الحياة من غير قيم -وإن كانت حلوة على الشفاه- فإنها مرة على القلوب والنفوس؛ ولهذا أيضًا عندما يتكلم بعض علماء النفس عن عذاب الوجدان، يقولون: إنها لظى جحيم يعض قلوبنا ليلا ونهارا، ولهذا يرجع بعض علماء النفس الأمراض النفسية إلى عذاب الوجدان، ويقول: إن كل مرض نفسي يبدو وراءه نقص خلقي.

٤. أهمية الأخلاق من حيث إنها وسيلة لنجاح الإنسان في الحياة.

ذلك أن الإنسان الشرير والغاش والمعتدي على أعراض الناس وأموالهم أو على أنفسهم، أو الذي يؤذي الآخرين لا يكون محبوبًا أولًا بين الناس، ولا يثقون به، ولا يتعاملون معه، ثم أن الغشاش لا بد من أن ينكشف غشه وخداعه في يوم من الأيام إن عاجلا أو آجلا، وعندما يعلم أمره يعاقب أو يبعد عن وظيفته وإن كان تاجرًا لا يتعامل الناس معه وهذا يؤدي إلى فشله.

---

(١) سورة الأعراف من الآية: ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص٧٥.

والطالب إذا غش فإنه لا بد من أن ينكشف أمره إما في أيام الامتحاناتأو بعد أن يتولى الوظيفة؛ لأن الغشاش يستخدم غشه ونيته السيئة أينما كان وسوف ينكشف أمره، ولهذا قال زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امريءٍ من خليقةوإن خالها تخفى على الناس تعلم[1]

ثم إن الطالب الذي يغش في الامتحان سوف يعتمد على الغش، وهذا يؤدي إلى ضعف تكوينه العلمي ويظهر ذلك بعد التخرج وبعد ما يتولى وظيفته.

٥. أهمية الأخلاق من حيث إنها وسيلة مهمة للنهوض بالأمة:

ذلك أن سقوط الأمم والحضارات كثيرًا ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، كما قررها بعض المؤرخين مثل جيبون[2] وابن خلدون.

الأخلاقيات الهدامة كثيرة منها: الظلم ونقض العهود والتناحر من أجل السلطة والعدوانية والتخريب، أما إذا انتشرت الروح الأخلاقية كالتضحية في خدمة الأمة وروح الإخاء والتعاون وتحقيق المساواة والعدالة الشاملة وتنفيذ العهود، سوف تؤدي إلى التقدم، ونجد أفراد الأمة يخترعون ويبدعون ويتفاخرون بتقدم أمتهم، ثم إن التقدم يكون نتيجة سيادة الأمن والاستقرار في المجتمع، ولا يتحقق هذا وأمثاله إلا بانتشار الأخلاق والروح الخيرة والتعاون المثمر والقيام بالواجبات والأعمال والصناعات كما

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م: ص١١١.

(٢) إدوارد جيبون، مؤرخ انجليزي، ولد سنة: ١٧٣٤م، قضى طفولة سقيمة ولم يدرس دراسة منظمة، ولكنه كان نهما في قراءاته. تعلم بإكسفورد ولوزان، قام بزيارة لروما أمدته بفكرة تأليف كتابه الضخم: ((تاريخ تدهور الإمبراطورية الرومانية وسقوطها))، مات سنة: ١٧٩٤م.

[ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م: ٣/ ١٢٨٠.

ينبغي ويجب)).[1]

إن طلابنا اليوم وفي جميع المراحل الدراسية يمرون بأصعب الأوقات، حيث أنهم يواجهون هجمة شرسة تهدف إلى هدم أخلاقهم، خصوصا وقد دخلت التكنولوجيا الحديثة على واقعنا بجميع مسمياتها، فالغرب حينما أراد استهداف الدين فإنه حاربه من الجانب الأخلاقي، وهذا ما تبين لنا من مؤلفاتهم ومؤتمراتهم.

جاء في خطاب الدكتور: (صموئيل زويمر) رئيس إرسالية التبشير في البحرين منذ أوائل القرن العشرين الميلادي، الذي خطبه في مؤتمر القدس التبشيري، الذي انعقد برئاسته سنة: (١٩٣٥م) مايأتي:

((...ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمّدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإنَّ في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم الدول المسيحية والمسيحيون جميعاً عليه كل التهنئة)).[2]

وجاء في نشرة المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة:(١٩٢٣م) مايأتي: ((... وبغية التفريق بين الفرد وأسرته عليكم أن تنزعوا الأخلاق من أسسها، لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة، لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على

(١) علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد يالجن: ص٧-١٠.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت١٤٢٥هـ)، دار القلم، ط٨، دمشق، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ص١٠١.

القيام بتبعات الأسرة ...)).[1]

وهذا غيض من فيض مما نصبه الغرب لنا من مكائد.

إن المسؤولية الواقعة علينا كبيرة، ومن الواجب علينا أن نصحح مسار مجتمعنا، فهو يعيش اليوم في تيه أشد من تيه بني إسرائيل، وتصحيح المسار يكون بالعودة إلى قرآن ربنا، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني
أخلاق المسلم مع ربه

ويتمثل هذا الخلق بعدة أمور من أهمها: التوبة إليه تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والشكر على نعمائه.

وسأبين حقيقة هذه الأخلاق من خلال ذكر بعض الآيات الواردة في القرآن الكريم، والمتعلقة بهذا المطلب، وذلك على النحو الآتي:

١. التوبة:

ومعناها في اللغة الرُّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ، وَقَالَ الأَخفش: التَّوْبُ جَمْعُ تَوْبةٍ مِثْلُ عَزْمةٍ وعَزْم. وتابَ إِلَى اللهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً: أَنابَ ورَجَعَ عَنِ المَعْصيةِ إِلَى الطاعةِ.[2]

وأما معناها الاصطلاحي فقد عرفها الغزالي بأنها:((الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان)).[3]

وقيل هي: ترك الذنوب على أجمل الوجوه، وهذا هو أبلغ وجوه الاعتذار، أن يقول

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة: ص٣٨.

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور:١/ ٢٣٣.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي: ٤/ ٩.

المعتذر: فعلت وأسأت وقد أقلعت.[1]

وقد ورد لفظ التوبة في القرآن في سبعة وثمانين موضعا، جاء في ثلاثة وستين منها بصيغة الفعل، وجاء في أربعة وعشرين موضعا بصيغة الاسم، ومن تلك المواضع:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾.[2]

في الآية الكريمة دعوة ربانية للتوبة إليه تعالى، وبيان منه عز وجل على أنها سبيل إلى سعة الرزق ورغد العيش، وامتناع وقوع العذاب، أما إذا لم تتحقق التوبة، فإن العيش سيتنغص ((وَذَلِكَ أَنَّ لِتَنْغِيصِ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَسَلْبِ النِّعَمِ مِنْ أَهْلِهَا أَسْبَابًا تَرْجِعُ كُلُّهَا إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ وَالذُّنُوبِ الْمُحَرَّمَةِ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ مُحَرَّمَةً إِلَّا لِأَنَّهَا ضَارَّةٌ مُفْسِدَةٌ لِلدِّينِ، أَوْ مُزِيلَةٌ لِلْحَيَاةِ أَوْ لِلْعَقْلِ أَوْ لِلصِّحَّةِ أَوْ لِنِظَامِ الِاجْتِمَاعِ الْمَالِيِّ وَالْمَدَنِيِّ ... فَالْأُمَمُ الَّتِي تُصِرُّ عَلَى الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، يُهْلِكُهَا اللهُ - تَعَالَى - فِي الدُّنْيَا بِالضَّعْفِ وَالشِّقَاقِ وَخَرَابِ الْعُمْرَانِ، حَتَّى تَزُولَ مَنَعَتُهَا، وَتَتَمَزَّقَ دَوْلَتُهَا، فَتَنْقَرِضَ أَوْ تَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا دَوْلَةٌ أُخْرَى، فَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي تَوَارِيخِ الْأُمَمِ مِنْ أَحْوَالِهَا الْعَامَّةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ)).[3]

ويبين أبو زهرة ثمار التوبة التي يحصل عليها المجتمع دنيويا وأخرويا: ((أما في الدنيا فإنه يتكون مجتمع فاضل كريم حيث يكون كل ذي فضل في مكانته، فيعطى حقه غير منقوص، ويتمتع الجميع بمتاع حسن وتكون الحقوق قائمة أدبية ومادية، فالمجتمعات

(١) ينظر: موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٧م: ٢/ ٥٣.

(٢) سورة هود الآية:٣.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م: ١٢/ ٧-٨.

التي لَا تظلها الفضيلة لَا تُعرف فيها قيم الأفاضل، وتضطرب الموازين اضطرابا شديدا بل تنقلب للرجال والأعمال معا.

وأما في الآخرة يؤتي ذو الفضل فضله بالنعيم المقيم والرضوان من رب العالمين وهو الجزاء الأكبر)).[1]

وفي السورة نفسها يبين لنا القرآن الكريم، ثمارا أخرى للتوبة، فيقول تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام:﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾.[2]

وهنا يجيب سيد قطب عن سؤال يدور في كل عقل، وهو ما علاقة التوبة والاستغفار بإدرار المطر ومضاعفة القوة، مع أنهما يسيران حسب قوانين ثابتة وضعها رب العالمين؟

فيقول: ((فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشهود، فإن نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة. يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق وراحة الضمير وهدوء الأعصاب والاطمئنان إلى الله والثقة برحمته في كل آن ويزيدانهم صحة في المجتمع بسيادة شريعة الله الصالحة التي تطلق الناس أحراراً كراماً لا يدينون لغير الله على قدم المساواة بينهم أمام قهار واحد تعنو له الجباه.. كما تطلقان طاقات الناس ليعملوا وينتجوا ويؤدوا تكاليف الخلافة في الأرض غير مشغولين ولا مسخرين بمراسم التأليه للأرباب الأرضية وإطلاق البخور حولها ودق الطبول، والنفخ فيها ليل نهار لتملأ فراغ الإله الحق في فطرة البشر! والملحوظ دائماً أن الأرباب الأرضية تحتاج ويحتاج معها سدنتها وعبَّادُها أن يخلعوا عليها

(١) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي: ٧/ ٣٦٦٣.

(٢) سورة هود الآية:٥٢.

بعض صفات الإلوهية من القدرة والعلم والإحاطة والقهر والرحمة.. أحياناً.. كل ذلك ليدين لها الناس! فالربوبية تحتاج إلى إلوهية معها تخضع بها العباد!)).[1]

وما ذكرناه غيض من فيض، ومن يتمعن في آيات التوبة في القرآن الكريم، تتوضح له الصورة أكثر فأكثر، وتتبين له فضائل التوبة وثمارها، وحينها سيدرك أن توبة العبد لربه تدل على حسن خلقه مع مولاه عز وجل.

٢. الإخلاص:

معناه في اللغة: ((تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ. يَقُولُونَ: خَلَّصْتُهُ مِنْ كَذَا وَخَلَصَ هُوَ. وَخُلَاصَةُ السَّمْنِ: مَا أُلْقِيَ فِيهِ مِنْ تَمْرٍ أَوْ سَوِيقٍ لِيَخْلُصَ بِهِ)).[2]

وأما في الاصطلاح: فقد نقل ابن قيم الجوزية عدة أقوال ومنها:

هُوَ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَةِ.

وقَالَ الْجُنَيْدُ: الْإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ. لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ. وَلَا هَوًى فَيُمِيلُهُ.[3]

وقد ورد لفظ الإخلاص في مواضع كثيرة، ومنها ما جاء في قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾.[4]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، بيروت- القاهرة، ١٤١٢ هـ: ٤/ ١٨٩٧-١٨٩٨.

(٢) .معجم مقاييس اللغة لابن فارس:٢/ ٢٠٨.

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م:٢/ ٩١-٩٢.

(٤) سورة الزمر الآية:٢.

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾.(١)

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴾.(٢)

هذه الآيات الثلاث وردت في سورة الزمر التي سماها أحد العلماء المعاصرين بسورة الإخلاص الكبرى(٣)، لما جاء فيها من تأكيد على إخلاص العبادة لله وحده، ونبذ الشرك والأنداد، وترك الرياء.

ويبين ابن تيمية في معرض كلامه عن التوحيد، ثمار الإخلاص وما يكون للعبد من سعادة وسعة في الرزق والعيش بسبب إخلاصه لله عز وجل، فبعد أن ذكر قسمين من الناس ممن يحصل على ثمرة التوحيد، ذكر القسم الثالث فقال: ((وَ» مِنْهُمْ « مَنْ وَجَدَ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الِالْتِجَاءَ إلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَقَطَعَ التَّعَلُّقَ بِمَا سِوَاهُ وَجَرَّبَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ إذَا تَعَلَّقَ بِالْمَخْلُوقِينَ وَرَجَاهُمْ وَطَمِعَ فِيهِمْ أَنْ يَجْلِبُوا لَهُ مَنْفَعَةً أَوْ يَدْفَعُوا عَنْهُ مَضَرَّةً فَإِنَّهُ يُخْذَلُ مِنْ جِهَتِهِمْ؛ وَلَا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُ بَلْ قَدْ يَبْذُلُ لَهُمْ مِنْ الْخِدْمَةِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَرْجُو أَنْ يَنْفَعُوهُ وَقْتَ حَاجَتِهِ إلَيْهِمْ فَلَا يَنْفَعُونَهُ: إمَّا لِعَجْزِهِمْ وَإِمَّا لِانْصِرَافِ قُلُوبِهِمْ عَنْهُ وَإِذَا تَوَجَّهَ إلَى اللَّهِ بِصِدْقِ الِافْتِقَارِ إلَيْهِ وَاسْتَغَاثَ بِهِ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ أَجَابَ دُعَاءَهُ؛ وَأَزَالَ ضَرَرَهُ وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ. فَمِثْلُ هَذَا قَدْ ذَاقَ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوَكُّلِ وَالدُّعَاءِ لِلَّهِ مَا لَمْ يَذُقْ غَيْرُهُ. وَكَذَلِكَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَ إخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ وَإِرَادَةِ وَجْهِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ؛ يَجِدُ مِنْ الْأَحْوَالِ وَالنَّتَائِجِ وَالْفَوَائِدِ مَا لَا يَجِدُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. بَلْ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ فِي مِثْلِ طَلَبِ الرِّئَاسَةِ وَالْعُلُوِّ؛ وَتَعَلُّقِهِ بِالصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ أَوْ جَمْعِهِ لِلْمَالِ يَجِدُ

(١) سورة الزمر الآية:١١.

(٢) سورة الزمر الآية:١٤.

(٣) ينظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الكلمة،ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ص٤٠٩.

فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مِنْ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْآلَامِ وَضِيقِ الصَّدْرِ مَا لَا يُعَبِّرُ عَنْهُ. وَرُبَّمَا لَا يُطَاوِعُهُ قَلْبُهُ عَلَى تَرْكِ الْهَوَى وَلَا يَحْصُلُ لَهُ مَا يَسُرُّهُ؛ بَلْ هُوَ فِي خَوْفٍ وَحُزْنٍ دَائِمًا: إنْ كَانَ طَالِبًا لِمَا يَهْوَاهُ فَهُوَ قَبْلَ إدْرَاكِهِ حَزِينٌ مُتَأَلِّمٌ حَيْثُ لَمْ يَحْصُلْ. فَإِذَا أَدْرَكَهُ كَانَ خَائِفًا مِنْ زَوَالِهِ وَفِرَاقِهِ. وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ فَإِذَا ذَاقَ هَذَا أَوْ غَيْرُهُ حَلَاوَةَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ. وَالْعِبَادَةُ لَهُ. وَحَلَاوَةُ ذِكْرِهِ وَمُنَاجَاتِهِ. وَفَهِمَ كِتَابَهُ. وَأَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ بِحَيْثُ يَكُونُ عَمَلُهُ صَالِحًا. وَيَكُونُ لِوَجْهِ اللَّهِ خَالِصًا؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْ السُّرُورِ وَاللَّذَّةِ وَالْفَرَحِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا يَجِدُهُ الدَّاعِي الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي نَالَ بِدُعَائِهِ وَتَوَكُّلِهِ مَا يَنْفَعُهُ مِنْ الدُّنْيَا. أَوْ انْدَفَعَ عَنْهُ مَا يَضُرُّهُ؛ فَإِنَّ حَلَاوَةَ ذَلِكَ هِيَ بِحَسَبِ مَا حَصَلَ لَهُ مِنْالْمَنْفَعَةِ أَوْ انْدَفَعَ عَنْهُ مِنْ الْمَضَرَّةِ وَلَا أَنْفَعَ لِلْقَلْبِ مِنْ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ وَلَا أَضَرَّ عَلَيْهِ مِنْ الْإِشْرَاكِ. فَإِذَا وَجَدَ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ {إيَّاكَ نَعْبُدُ} مَعَ حَقِيقَةِ التَّوَكُّلِ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} كَانَ هَذَا فَوْقَ مَا يَجِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ لَمْ يَجِدْ مِثْلَ هَذَا)).[1]

ومن خلال إمعاننا النظر في كلام ابن تيمية يمكننا القول بأن الإخلاص كالروح في الجسد، فعبادة بلا إخلاص، كجسد بلا روح، لذا يجب أن تكون جميع عباداتنا خالصة لله عز وجل ليس فيها شائبة تشوبها، كاللبن في صفائه، فرب العزة حينما أنعم علينا باللبن جعله صافيا من كل شائبة كي يستسيغه الشارب: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾.[2]، فكذلك يجب أن تكون العبادة خالصة لله تعالى، لا يشوبها شيء من الرياء.

---

(١) الزهد والورع والعبادة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق:حماد سلامة أ محمد عويضة، مكتبة المنار، ط١،الأردن، ١٤٠٧ه: ص ٨٢-٨٣.

(٢) سورة النحل الآية:٦٦.

٣. الرضا:

ومعناه في اللغة: ضد السخط.[١]

وأما في الاصطلاح، سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات[٢]

وعرفه ابن قيم الجوزية بأنه : أَنْ لَا يَتَّخِذَ رَبًّا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى يَسْكُنُ إِلَى تَدْبِيرِهِ. وَيُنْزِلُ بِهِ حَوَائِجَهُ.[٣]

ومن الآيات الواردة في الرضا، قوله تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾.[٤]

قال ابن عطية في معنى قوله:﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾((هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار. قال بعض الصالحين: رضى العباد عن الله رضاهم بما يرد من أحكامه، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضى عنه، وقال أبو بكر بن طاهر: الرضى عن الله خروج الكراهية عن القلب حتى لا يكون إلا فرح وسرور، وقال السري السقطي: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه الرضا عنك؟)).[٥]

وتتجلى حقيقة الرضا عند المؤمن عندما تقع عليه أقدار الله تعالى، كأن يبتليه الله بمرض أو فقد مال أو تسلط عدو، فيتقبل أقدار الله ويرضى بما قسمه الله له، مستحضرا قوله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٣٢٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٢/ ١٧٤.

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: ٢/ ١٧٨.

(٤) سورة البينة الآية:٨.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، ط١،بيروت، ١٤٢٢ هـ: ٥/ ٥٠٩.

ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾.(١)

وتتجلى تلك الحقيقة أكثر حينما: ((يتفكر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه، رأى أن الخالق مالك، وللمالك التصرف في مملوكه، ورآه حكيماً لا يصنع شيئًا عبثًا، فسلم تسليم مملوك لحكيم؛ فكانت العجائب تجري عليه، ولا يوجد منه تغير، ولا من الطبع تأفف، ولا يقول بلسان الحال: لو كان كذا! بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح)).(٢)

((قال ابن عون(٣): لن يصيب العبد حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك فيه هلكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك؟ ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا)).(٤)

٤. الشكر:

---

(١) سورة البقرة الآية:١٥٥.

(٢) صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، دار القلم، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص٣٠٧.

(٣) الشَّيْخُ المُحَدِّثُ الإِمَامُ الرَّحَّالُ أَبُو جَعْفَر أَحْمَدُ بنُ عَوْنِ الله بنِ حُدَيْرِ بنِ يَحْيَى القُرْطُبِيُّ البَزَّازُ، كَانَ صَدُوْقاً صَالحاً شديداً عَلَى المُبْتَدِعَة لَهِجاً بالسُّنَّة صَبُوْراً عَلَى الأَذَى.
قَالَ ابْنُ الفَرَضِي: كتبَ النَّاسُ عَنْهُ قديماً، وَحديثاً وَكتبتُ عَنْهُ. وَقَالَ لِي: وُلِدْتُ سَنَةَ ثَلاَثِ مائَة.
كَانَ طَوِيْلَ الرُّوحِ عَلَى الطَّلبَةِ يُسمِّعُهُمْ عامَّة نَهَارِه، وَلَهُ قَصصٌ مَعَ أَهْلِ الأَهوَاءِ.
مَاتَ فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَة. [ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمدً بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م: ١٢/ ٣٧٦].

(٤) صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١ه_٢٠٠٠م:٢/ ١٨٤.

معناه في اللغة: ((عِرْفانُ الإحسان ونَشْرُه، وَهُوَ الشُّكُورُ أَيضاً)).[1]

وفي الاصطلاح: ((ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا. وَعَلَى قَلْبِهِ: شُهُودًا وَمَحَبَّةً. وَعَلَى جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً)).[2]

اعتنى القرآن الكريم بهذا الخلق عنايته بباقي الأخلاق، وذكر الشكر في القرآن في آيات كثيرة، ومما ذكره:

قوله تعالى:﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾.[3]

((أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقرارا بالنعمواعترافا، وباللسانذكرا وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقيادا لأمره، واجتنابا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى:﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾.[4] وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقيةالتي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، ولينددفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر)).[5]

فشكر العبد ربه على نعمه، دلالة واضحة على أخلاقه وتأدبه مع ربه، وضمانة حقيقية لاستمرارها ودوامها، أما كفرها وإنكارها فيعني ذلك انقطاعها وهلاكها، ولن يكفر

(١) لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٤٢٣.
(٢) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: ٢/ ٢٣٤.
(٣) سورة البقرة الاية:١٥٢.
(٤) سورة إبراهيم من الآية:٧.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م: ص٧٤.

بنعم الله إلا من أساء الأدب مع مولاه، واتبع شيطانه وهواه.

قال الشعراوي: ((وشكر الله يذهب الغرور عن نفسك، فلا تفتنك الأسباب وتقول أوتيته على علم مني)).(١)

وفي كلامه إشارة إلى ما قاله قارون الذي آتاه الله من النعم ما لا يُعد ولا يُحصى، ومع ذلك فلم يشكر تلك النعم، بل جعلها وسيلة للبغي والإفساد، قال تعالى:﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾.(٢)

ولكنه ومع كل النصائح الذي قدمها له قومه، لم يستفد منها، واغتر بسلطانه وماله، حتى قال ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.(٣)

فلما كفر بأنعم الله حلَّ عليه عقابه:﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾.(٤)

وهذا مصير كل من كفر بأنعم الله تعالى!.

٥. التوكل:

ومعناه في اللغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير.(٥)

---

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم:١/ ٦٤٧.

(٢) سورة القصص الآية:٧٦.

(٣) سورة القصص الآية: ٧٨.

(٤) سورة القصص الآية: ٨١.

(٥) ينظر: الصحاح:٥/ ١٨٤٥، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة: ٢/ ١٠٥٥.

وفي الاصطلاح:((اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ فِي حُصُولِ مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ)).[1]

التوكل خلق عظيم، ومقام شريف، كان خلق رسل الله جميعا، قال تعالى:

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.[2]

وحينما ننظر في رسالة الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم، نجد أن التوكل على الله من أهم الأخلاق التي حملوها، وهذا ما بينه القرآن الكريم على لسان نوح وهود وشعيب وموسى ويعقوب عليهم الصلاة والسلام.

وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا في معنى التوكل، وبيَّن ما للمتوكل من جزاء عظيم، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾.[3]، ثم قال:((فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي حَصَلَ لِلْمُتَوَكِّلِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ لِغَيْرِهِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ أَقْوَى السُّبُلِ عِنْدَهُ وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ. وَلَيْسَ كَوْنُهُوَكَلَ الْأُمُورَ إِلَى نَفْسِهِ بِمُنَافٍ لِتَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَيْهِ، بَلْ هَذَا تَحْقِيقُ كَوْنِ الْأُمُورِ كُلِّهَا مَوْكُولَةً إِلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ مَعْرِفَةً صَارَتْ حَالُهُ التَّوَكُّلَ - قَطْعًا - عَلَى مَنْ هَذَا شَأْنُهُ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَوْكُولَةٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْهَا. فَهُوَ لَا يَجِدُ بُدًّا مِنَ اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ. وَتَفْوِيضِهِ إِلَيْهِ. وَثِقَتِهِ بِهِ مِنَ الْوَجْهَيْنِ: مِنْ جِهَةِ فَقْرِهِ، وَعَدَمِ مِلْكِهِ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ. وَمِنْ جِهَةِ كَوْنِ الْأَمْرِ كُلِّهِ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية ،ط٢٧ ، بيروت-الكويت، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م:٤/ ١٤.

(٢) سورة إبراهيم الآية:١٢.

(٣) سورة الطلاق من الآية:٣.

وَالتَّوَكُّلُ يَنْشَأُ مِنْ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ)).[1]

ثم نبه إلى مسألة مهمة وهي أن انتفاء التوكل، يدل على انتفاء إيمان العبد، ووضح ذلك بقوله:((وَأَمَّا تَوَجُّهُ الْخِطَابِ بِهِ إِلَى الْعَامَّةِ: فَسُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ خَاطَبَ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا خَوَاصَّ خَلْقِهِ، وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ؟ وَشَرَطَ فِي إِيمَانِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُتَوَكِّلِينَ، وَالْمُعَلَّقُ عَلَى الشَّرْطِ يُعْدَمُ عِنْدَ عَدَمِهِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ عِنْدَ انْتِفَاءِ التَّوَكُّلِ. فَمَنْ لَا تَوَكُّلَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.[3]

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْحِصَارِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ)).[4]

فالتوكل على الله خلق إسلامي عظيم، ينبع من نفس محبة لربها، فهو يزكي نفس وعقل المسلم، ويدفعه نحو الالتزام والاستمرارية بالعمل حتى يصل إلى الهدف المنشود الذي يرومه.

والتوكل له ثمرات كثيرة ذكرها القرآن الكريم، منها:

١. تحقيق الإيمان: قال تعالى: ﴿ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.[5]

٢. الحصول على الثواب العظيم، والدرجات العلى في جنات النعيم ، قال تعالى:

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية:٢/ ١٢٨.
(٢) سورة المائدة من الآية: ٢٣.
(٣) سورة الأنفال الآية:٢.
(٤) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: ٢/ ١٢٨-١٢٩.
(٥) سورة آل عمران الآية:١٢٢.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1].

قال السعدي:((فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به)).[2]

٣. يقي من تسلط الشيطان والسحر والحسد والعين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾.[3]

((فَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِيمَان مبدأ أصيل لِتَوْهِينِ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ انْدَفَعَ سُلْطَانُ الشَّيْطَانِ عَنِ الْمُؤْمِنَ الْمُتَوَكِّلِ)).[4]

٤. الحصول على الفوز والغلبة، قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.[5]

الكلام عن ثمار التوكل يطول، وهناك ثمار أخرى نتركها للقارئ كي يلتمسها من القرآن الكريم.

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان:٥٨-٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ص٦٣٤.

(٣) سورة النحل الايات: ٩٨-١٠٠.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤/ ٢٧٩.

(٥) سورة آل عمران الاية:١٦٠.

في هذا المطلب بينت أخلاق العبد مع ربه من خلال النماذج التي ذكرتها، المتعلقة بالتوبة والإخلاص والرضا والشكر والتوكل، وليست أخلاق العباد مع ربهم محصورة بما ذكرنا بل هي كثيرة.

بقي أن نعلم أنه بالإمكان أن نثقف طلابنا في جميع مراحلهم على هذه التربية، ونحثهم على الالتزام بها، وأنها السبيل الوحيد لسعادتهم في الدنيا والآخرة، وأنها الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح، ولتحقيق كل هدف يرومونه.

وليس الطالب وحده هو المعني بهذه الأخلاق في السلك التعليمي، بل يجب على المعلم أيضا معرفتها، دون الانتباه إلى التخصص؛ لأنها لم تختص بأفراد دون آخرين.

إننا بنا حاجة ماسة إلى أن نصحح أخلاقنا مع الله، لأنها السبيل الوحيد للخروج من الأزمات والمصائب التي تعيشها أمتنا عامّة، وبلدنا خاصّة.

المبحث الثالث
أخلاق المسلم مع الرسول ﷺ

لقد أوجب القرآن الكريم على المسلم التخلق مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتحقق ذلك بطاعته والاقتداء به واتباع أوامره، والانتهاء عما نهى عنه، والصلاة عليه.

ودعوة القرآن الكريم للمسلم جاءت في عدة آيات، وسنذكر قسما منها، كي نبيّنَ معنى التخلق مع رسولنا صلى الله عليه وسلم، وذلك على النحو الآتي:

١. طاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه، والتسليم لأمره.

وهذا الخلق يأتي على سلم الأولويات في أدب المسلم مع نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم دلت عليه، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.(١) وقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾.(٢) وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.(٣)، وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.(٤)

قال ابن قيم الجوزية:((رَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ. وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يُحَمِّلَهُ مُعَارَضَةَ خَيَالٍ بَاطِلٍ، يُسَمِّيهِ مَعْقُولًا. أَوْ يُحَمِّلَهُ شُبْهَةً أَوْ شَكًّا، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، وَزُبَالَاتِ أَذْهَانِهِمْ، فَيُوَحِّدُهُ بِالتَّحْكِيمِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالِانْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ. كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ)).(٥)

وعليه فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، من الأمور الدالة على خلق المسلم مع نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢. عدم رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.(٦)

وقد بيَّن ابن قيم الجوزية حقيقة هذا الأدب، والمقصود به فقال: ((أَنْ لَا تُرْفَعَ

(١) سورة آل عمران الآية:٣٢.
(٢) سورة الأنفال الآية:٢٤.
(٣) سورة الحجرات الآية: ١.
(٤) سورة الحشر الآية:٧.
(٥) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية:٢/ ٣٦٥-٣٦٦.
(٦) سورة الحجرات الآية:٢.

الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ. فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْآرَاءِ، وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ؟ أَتُرَى ذَلِكَ مُوجِبًا لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ مُوجِبٌ لِحُبُوطِهَا؟)).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن رفع الصَّوت عليه بعد موته كرفع الصَّوت عليه في حياته؛ إذا قرئ حديثه، وجب عليك أن تنصِتَ له كما تنصِتُ للقرآن.[1]

٣. مناصحته صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.[2]

وقد وضَّح القرطبي معنى المناصحة للرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: ((والنصيحة لرسوله : التصديق بنبوته ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه ، وتوقيره، ومحبته ومحبة آل بيته، وتعظيمه وتعظيم سنته ، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم)).[3]

٤. توقيره صلى الله عليه وسلم وإجلال شخصه، ونصرته:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾.[4]

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي:٧/ ١١٥.

(٢) سورة التوبة الآية:٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨/ ٢٢٧.

(٤) سورة الأعراف الآية:١٥٧.

قال الحليمي[1]: ((فمعلوم أن حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منَّة تداني هذه المنن. ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار. ووعدنا باتباعه الجنة. فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة. فحقَّ علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه)).[2]

وبيّن ابن تيمية معنى التعزير والتوقير فقال:((والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار)).[3]

---

(١) القَاضِي العَلاَّمَةُ، رَئِيْسُ المُحَدِّثِيْنَ وَالمُتَكَلِّمِيْنَ بِمَا وَرَاء النهر، أَبُو عَبْدِ الله، الحُسَيْنُ بنُ الحَسَن ابن مُحَمَّد بن حَلِيْم البُخَارِيُّ الشَّافعِيُّ. أَحَدُ الأَذكيَاء المُوْصُوفِيْنَ، وَمن أَصْحَابِ الوُجُوهِ فِي المَذْهَب. وَكَانَ مُتفنِّناً، سيَّال الذِّهن، مُنَاظِراً، طَوِيْلَ البَاعِ فِي الأَدب وَالبيَان.
وُلِدَ فِي سَنَة ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ وَثَلاَث مائَة، وَلَهُ مُصَنَّفَات نَفِيْسَة.
حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو عَبْد الله الحَاكم وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ، وَالحَافظ أَبُو زَكَرِيَّا عَبْدُ الرَّحِيْم بنُ أَحْمَدَ البُخَارِيُّ، وَأَبُو سَعْدٍ الكَنْجَرُوْذِيّ، وَآخَرُوْنَ، تُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَع مائَة. [ينظر: سير أعلام النبلاء،: ١٣/ ٣٥].

(٢) المنهاج في شعب الإيمان: لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي(ت ٤٠٣هـ)، تحقيق حلمي محمد فوده- دار الفكر: ص١٢٤-١٢٥.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد

إن أخلاق المسلم مع رسوله صلى الله عليه وسلم، لا تقف عند الحد الذي ذكرناه، بل هناك أخلاق كثيرة ذكرها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبإمكان كل مسلم أن يطلع عليها، ويلتزم بها؛ لأن التزامه بها دليل على تخلقه مع نبيه صلى الله عليه وسلم، ومحبته له، وتركه لها دليل على سوء أخلاقه.

إن الناظر في حال مجتمعنا، يقدر مدى حاجته إلى الرجوع إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم، ولاسيما في أماكن الدراسة والتعليم، فكثير من أبنائه اليوم يدعي انتماءه إلى أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن أفعاله لا تدل على صحة دعواه، بل ربما أصبح عالة على الأمة بأكملها، وهذا هو حال كثير من طلابنا، فالاقتداء بأهل الغرب من اللاعبين والفنانين أصبح أكثر اهتماما من نبينا صلى الله عليه وسلم، بل وصل الحال أن يُسبَّ خير الخلق عليه الصلاة والسلام فلا نجد من يدافع عنه إلا ما شاء الله، في الوقت الذي إذا شُتم فيه لاعب أو فريق هبَّ كثير إلى نصرته والدفاع عنه، وأصبح الافتخار بأهل الصليب والمسيئين شيئا محمودا، ورحم الله ابن عبد البر حين قال:

لَا فَرْقَ بَيْنَ مُقَلِّدٍ وَبَهِيمَةٍ تَنْقَادُ بَيْنَ جَنَادِلَ وَدَعَاثِرِ[1][2]

فَإِذَا اقْتَدَيْتَ فَبِالْكِتَابِ وَسُنَّةٍ الْمَبْعُوثِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ الطَّاهِرِ

محي الدين عبد الحميد: ص٤٢٢.

(١) ينظر: جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م:٢/ ٩٨٨.

(٢) الدعثر: الأحمق، الدعثرة، (بهاء: الهدم والكسر) وقد دعثر الحوض وغيره: هدمه. ودعثره: صرعه وكسره، جمعه دعاثير ودعاثر، والدعاثير: ما تهدم من الحياض، ينظر: تاجالعروس (١١/ ٢٩٧)، وال جندلصخرةمثلرأسالإنسان،وجمعهجنادل. والجنادل: الشديدمنكلشيء. لسانالعرب (١١/ ١٢٩).

المبحث الرابع
أخلاق المسلم مع نفسه

للمسلم أخلاق مع نفسه، يجب أن يتحلى بها، وتتمثل بزهده وصدقه وتواضعه وكرمه وصبره، وكل ما دخل تحت هذا العنوان من صفات أخرى تتعلق به، ولقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من هذه الصفات، وسنذكر نماذج منها على النحو الآتي:

١. الزهد:

أورد القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على فضل الزهد، وقلة الرغبة في ملذات الدنيا وشهواتها، قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.(٣)

ذهب الغزالي إلى أن معنى الزهد هو: ((عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره، فإنما عدل عنه لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبتهفي غيره فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً)). (٤)

وقد ذكر ابن قيم الجوزية آيات تدل على الزهد، منها: قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(٥)، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ

(٣) سورة الحديد الآية: ٢٠.
(٤) إحياء علوم الدين للغزالي: ٤/ ٢١٧.
(٥) سورة الكهف الآية: ٤٥.

زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[1] ثم قال: ((وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَايِنُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيُؤْثِرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ)).[2]

فالمسلم إذا حمل الزهد في نفسه، كان قريبا من ربه، متبعا لأوامره، أما إذا اغتر بالدنيا كان بعيدا كل البعد عن خالقه، متأملا طول حياته، ومتجاهلا نهايته التي لن يستطيع أحد إنقاذه منها.

٢. الصدق:

حث القرآن الكريم على الصدق في عدة آيات، منها:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.[3]

قال القرطبي:((حقُ من فهم عن الله وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال ، والصفاء في الأحوال ، فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى رضا الغفار ؛ قال صلى الله عليه وسلم : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا»[4].))[5]

وذهب ابن عاشور إلى أن الأمر بقوله: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أبلغ بالتخلق

(١) سورة طه الآية:١٣١.
(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية:٢/ ١٢.
(٣) سورة التوبة الآية:١١٩.
(٤) المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم): ٤/ ٢٠١٣ (٢٦٠٧).
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٨/ ٢٨٩.

بالصدق.[1]

والآية تفيد أن اللَّه تعالى يحث المؤمن على أن يعيش في بيئة يكون فيها الصدق سائدا، والبر مسيطرا، فإن فساد البيئة الفكرية والخلقية يؤدي إلى عموم الفساد، والبيئة الصالحة، تهذب آحادها، وتجعل الشر يختفي والخير يظهر، وظهور الخير يدعو إليه، وظهور الشر يحرض عليه.[2]

وقد بيّن ابن قيم الجوزية منزلة الصدق، وأكد أنَّها : ((مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ. الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ. وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ. وَهُوَ سَيْفُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ. وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ. مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ. وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الْخُصُومِ كَلِمَتُهُ. فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ. وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ. وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِينَ. وَمِنْ مَسَاكِنِهِمْ فِي الْجَنَّاتِ تُجْرَى الْعُيُونُ وَالْأَنْهَارُ إِلَى مَسَاكِنِ الصِّدِّيقِينَ. كَمَا كَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ)).[3]

وعليه فالمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به، بل إنه أبعد من ذلك فالصدق من متممات الايمان ومكملات الاسلام.

وما وصل مجتمعنا إلى هذه الحالة إلا بسبب فقدان هذا الخلق العظيم، فأصبح الكذب عند كثير من الناس مباحا، وسبب ذلك ضعف الإيمان في نفوسهم، مما جعل الصدق

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ١١/ ٥٤.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة: ٧/ ٣٤٧٨.

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: ٢/ ٢٥٧.

يغيب عن أفعالهم وأقوالهم.

٣. الصبر:

وهو: ((حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه)).[١]

وقد ورد لفظ الصبر في القرآن الكريم ١٠٦ مرات بصيغ مختلفة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.[٢]

فالصبر من الأركان الأساسية التي يقوم عليها حسن الخلق، فهو يُعلِّم الإنسان التحمل، وكظم الغيظ وغيرها من الصفات التي لولا وجود الصبر لما اتصف بها المسلم، لذا فإن للصبر منزلة عظيمة، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة الذي صبر وصابر حتى وصل إلى مبتغاه، فأخرج الأمة من الضلالة، وبيَّن لها سبل الهداية.

قال ابن قيم الجوزية: ((وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة... وإذاانحرفت عن خلق الصبر المحمود انحرفت: إما إلى جزع وهلع وجشع وتسخط، وإما إلى غلظة كبد، وقسوة قلب، وتحجر طبع)).[٣]

ومن الآيات الواردة في الصبر، قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص٤٧٤.

(٢) سورة الأنعام الآية:٣٤.

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: ٢/ ٢٩٤-٢٩٦.

يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.[1]

قال ابن عاشور: ((الْمُرَادُ بِالصَّبْرِ: الصَّبْرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ. وَأَمَّا الصَّبْرُ فِي الْحُرُوبِ وَعَلَى فَقْدِ الأحبّة فمما تتشرك فِيهِ النُّفُوسُ الْجَلْدَةُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُخْبِتِينَ.

وَفِي كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرِ فَضِيلَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ إِذَا كَانَ تَخَلُّقًا بِأَدَبِ الْإِسْلَامِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.[2] [3]

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة دلت على حقيقة الصبر، ومنزلة الصابرين، وأنهم يعطون ثوابهم بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.[4]

٤. التواضع:

ومعناه: ((خُضُوعَ الْعَبْدِ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ، وَانْقِيَادَهُ لَهَا. فَلَا يُقَابِلُهَا بِصَوْلَتِهِ عَلَيْهَا)).[5]

وفي القرآن الكريم من الآيات ما يدل على التواضع، ومنها: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.[6]

قال ابن كثير:((هَذِهِ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْكُمَّل أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ مُتَوَاضِعًا لِأَخِيهِ وَوَلِيِّهِ)).[7]

---

(١) سورة الحج الآية:٣٤-٣٥.

(٢) سورة البقرة الآيتان:١٥٥-١٥٦.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٧/ ٢٦١.

(٤) سورة الزمر الآية:١٠.

(٥) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: ٢/ ٣١٨.

(٦) سورة المائدة الآية:٥٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:

ويذهب الشعراوي إلى أن:((ذلة المؤمن لأخيه المؤمن ترفع منزلته. وبها يكون المؤمن أهلاً لأن ترفع منزلته؛ لأنه مصطفى بأن الله يحبه وأنه يحب الله، ولا توجد رفعة أكثر من هذه رفعة. ولذلك نجد القول المأثور: (من تواضع لله رفعه) .

أي من تواضع وفي باله الله فإن الله يرفعه)).[1]

ومن الآيات الدالة على التواضع، قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾.[2]

فهذه هي أخلاق الأنبياء والذين يقتدون بهم، ومن الواجب على المؤمن أن يسير برفق، وقد وصف الله مشي النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان يمشي في هون ورفق، تبدو في مشيته قوة الماشي غير المصطنع المتخاذل، وغير المختال المرح المتعالي.[3]

وهناك آيات أخرى أكدت معنى التواضع، منها:

١. وقوله جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[4]

٢. قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾.[5]

٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٣/ ١٣٦.

(١) تفسير الشعراوي:٥/ ٣٢١٥.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٣.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة:١٠/ ٥٣١٢.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٣٤.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

٣. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.(١)

٤. وقوله: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾.(٢)

والنماذج التي ذكرتها من أخلاق المسلم مع نفسه هي مقدمة لباقي الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم، كي تكون له حصنا حصينا، وسدا منيعا، لا يستطيع الشيطان أن يخترقه، وهذا ما يجب أن يكون عليه المجتمع بأكمله من أجل أن يعيش حياة طيبة، ويفوزبرضا الله تعالى.

المبحث الخامس
أخلاق المسلم مع أسرته ومجتمعه

نظَّم القرآن الكريم الحياة الأسرية والاجتماعية، ووضع لها قانونا يحفظها، وأشار إليها من خلال آيات بينات، وتتمثل الأخلاق الأسرية بالمودة والرحمة والإحسان، وأما الاجتماعية فهي التي تحث على العدل وحفظ الأمانة والتسامح.

وإنما حرص القرآن الكريم على بيان هذه الأخلاق، حتى تكون الحياة مستقرة ومستقيمة، ويتذوق المسلم طعم الراحة والطمأنينة فيها.

وسأبين بعض الأخلاق التي تتعلق بالجانب الأسري والاجتماعي.

أولا: الجانب الأسري، فمن أهم ما بينه القرآن الكريم مما يتعلق بهذا الجانب.

قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾.(٣)

---

(١) سورة المائدة الآية: ٥٤.

(٢) سورة الشعراء الآية: ٢١٥.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٢٤.

((فكان ذكر رحمة العبد مناسبة للانتقال إلى رحمة الله، وتنبيها على أن التخلق بمحبة الولد الخير لأبويه يدفعه إلى معاملته إياهما به فيما يعلمانه وفيما يخفى عنهما حتى فيما يصل إليهما بعد مماتهما)).(١)

وقوله عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.(٢)

وفي معرض تفسيره لهذه الآية، وضح الشعراوي المراحل الثلاث التي ذكرتها الآية، وكيف أن القرآن الكريم جعلها مترابطة مع بعضها، فقال:((ولو تأملنا هذه المراحل الثلاث لوجدنا السكن بين الزوجين، حيث يرتاح كُلٌّ منهما إلى الآخر، ويطمئن له ويسعد به، ويجد لديه حاجته. فإذا ما اهتزتْ هذه الدرجة ونفرَ أحدهما من الآخر جاء دور المودّة والمحبة التي تُمسِك بزمام الحياة الزوجية وتوفر لكليهما قَدْراً كافياً من القبول.

فإذا ما ضعف أحدهما عن القيام بواجبه نحو الآخر جاء دور الرحمة، فيرحم كل منهما صاحبه. . يرحم ضَعْفه. . يرحم مرضه. وبذلك تستمر الحياة الزوجية، ولا تكون عُرْضة للعواصف في رحلة الحياة)).(٣)

ثانيا: الجانب الاجتماعي: ومن الآيات الواردة في هذا الجانب.

قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾.(٤)

الأمانة: ما يؤتمن عليه الإنسان، وهي من صفات المؤمنين، ومن الأخلاق التي تحفظ المجتمع، وضدها الخيانة وهي من صفات المنافقين التي حذرنا منها رسول الله صلى الله

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور:١٥/ ٧٢.
(٢) سورة الروم الآية:٢١.
(٣) تفسير الشعراوي: ١٣/ ٨٠٧٧.
(٤) سورة المؤمنون الآية: ٨.

عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ)).(١)

ولقد أمر الله عباده بأداء الأمانة فقال في محكم كتابه العزيز: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾.(٢)

وأداء الأمانة لا يختص بفئة من فئات المجتمع دون أخرى، بل كُلُّهم مأمور بأدائها، صغيرة كانت أو كبيرة، وأشد الناس مسؤولية في ذلك، من يتولون أمر المسلمين، فالأمانة التي يحملونها كبيرة، لأنهم إن حفظوها حفظوا دين الله وعباده أما:((إِنْ خَزِيَتْ أَمَانَةُ أُولَئِكَ الرِّجَالِ وَهُمْ أَرْكَانُ الدَّوْلَةِ سَقَطَ بِنَاءُ السُّلْطَةِ وَسُلِبَ الْأَمْنُ، وَرَاحَتِ الرَّاحَةُ مِنْ بَيْنِ الرَّعَايَا كَافَّةً وَضَاعَتْ حُقُوقُ الْمَحْكُومِينَ، وَفَشَا فِيهِمُ الْقَتْلُ وَالتَّنَاهُبُ وَعَرِيَتْ طُرُقُ التِّجَارَةِ، وَتَفَتَّحَتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَخَوَتْ خَزَائِنُ الْحُكُومَةِ، وَعُمِّيَتْ عَلَى الدَّوْلَةِ سُبُلُ النَّجَاحِ ; فَإِنْ حَزَبَهَا أَمْرٌ سُدَّتْ عَلَيْهَا نَوَافِذُ النَّجَاةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ قَوْمًا يُسَاسُونَ بِحُكُومَةٍ خَائِنَةٍ، إِمَّا أَنْ يَنْقَرِضُوا بِالْفَسَادِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُمْ جَبَرُوتُ أُمَّةٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَنْهُمْ يَسُومُونَهُمْ خَسْفًا، وَيَسْتَبِدُّونَ فِيهِمْ عَسْفًا فَيَذُوقُونَ مِنْ مَرَارَةِ الْعُبُودِيَّةِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ مَرَارَةِ الِانْقِرَاضِ وَالزَّوَالِ)).(٣)

وما حدث ويحدث بأمتنا اليوم من المآسي والأحزان والاحتلال وسفك الدماء وانتهاك الحرمات، وضياع الأمان، وفقدان الراحة والاطمئنان، سببه فقد الأمانة، نسأل الله العافية.

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري):٣/ ١٨٠ (٢٦٨٢).

(٢) سورة النساء الآية:٥٨.

(٣) تفسير المنار: ٥/ ١٤٤-١٤٥.

ومن الأخلاق التي تحقق الألفة والمحبة بين المسلم وأبناء مجتمعه، العفو والإحسان، وقد أمر القرآن الكريم بهذا الخلق في عدد من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.(١)

وعبر عن هذا الخلق بقوله: (ذو حظ عظيم): ((لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق)).(٢)

وفي هذه الآية:((تحريض على الارتياض بهذه الخصلة بإظهار احتياجها إلى قوة عزم وشدة مراس للصبر على ترك هوى النفس في حب الانتقام، وفي ذلك تنويه بفضلها بأنها تلازمها خصلة الصبر وهي في ذاتها خصلة حميدة وثوابها جزيل كما علم من عدة آيات في القرآن)).(٣)

هناك أخلاق أسرية واجتماعية أخرى أكد عليها القرآن الكريم، وذلك من أجل إقامة مجتمع متفاهم وقائم على نظام أخلاقي متكامل. فالمجتمعات إذا تخلت عن هذه الأخلاق، وانتهجت خصال الشر والرذائل، لم تتمكن من العيش بسلام وأمان، وذهبت في هاوية الضلالة والغواية، وابتعدت عن طريق الحق والهداية.

(١) سورة فصلت الآيتان:٣٤-٣٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي:ص٧٤٩.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور:٢٤/ ٢٩٤.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أُلَخّصُ إلى النتائج الآتية:

١. تفعيل الأخلاق التي عَوّلَ عليها القرآن الكريم، وجعلها واقعا مشاهدا في جميع نواحي الحياة، وذلك من أجل إيجاد مجتمع يعتمد في أخلاقه على كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويترك كل خلق مذموم مستورد من دول الكفر والإلحاد.

٢. إن من أهم المواد الدراسية التي يمكننا الاستفادة منها، وبث الأخلاق القرآنية من خلالها، مادة تفسير القرآن الكريم، فالطالب ربما يقرأ آيات كثيرة، ولكنه لا يفهم المعاني التي تشير إليها، لذا فإني أرى أنه من الواجب على اللجان الواضعة لمنهج التفسير في المدارس العامة، في الثانويات الإسلامية أن تأخذ هذا بنظر الاعتبار، ومن المهم أيضا أن نعلم أنه ليس بالإمكان اليوم أن يُدَّرس الطالب تفسير جميع سور القرآن الكريم، في جميع المراحل، لكنه بالإمكان أن تعوّل اللجان على الآيات التي يمكن من خلالها تنشئة جيل يتربى على مائدة القرآن الكريم.

٣. إننا فينا حاجة ماسة إلى النهوض بالأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم، في مجتمعنا عموما، وفي مدارسنا خصوصا فالموجة التي تعصف بطلابنا اليوم ليست بالقليلة، وما يدبره أعداء الأمة تجاههم ليس بالأمر الهين، لذا فمن الواجب علينا أن نعي خطر المؤامرة التي تحاك ضدهم، خصوصا ونحن نعيش في عصر العولمة التي يراد من خلالها إنشاء جيل لا يعرف من دينه إلا ما ورثه عن بيته من صلاة أو صيام، دون أن يستشعر حقيقة العبادات التي يؤديها.

ومن المهم أن نعلم أن خطة الغرب بما فيها أمريكا لتغيير المناهج التعليمية في العالم العربي،التي صاغتها مجموعة من السياسيين الأمريكيين والتيدعت إلى هذا التدخل

السافر في المناهج، ومما جاء فيها:((لن نستطيع أن نغير من محتوى القرآن، ولكن علينا التدخل لإفراغه من مضمونه وتغيير التربية الدينية إلى مسمى الثقافة الدينية، وأن تكون اللغة الدينية مبنية على العقل والمنطق، لا على النقل والتبعية للكتاب المقدس (القرآن) دون تفكير، وأننا سوف نحذف كل ما يثار من موضوعات هدفها بث الكراهية تجاه الغرب وكل ما هو أمريكي وأوروبي أو حتى ما يخص دول الجوار))[1]، وكذلك ما جاء في المذكرة التفصيلية لمبادرة (كولن باول) والتي تعدُّ التعليم البيئة الرئيسية لتوليد الإرهاب وتشير إلى أن ٨٢٪ من الإرهابيين ينتمون إلى الدول العربية، وتعدّ أن إصلاح التعليم بالمفهوم الأمريكي هو الدعامة الأولى لوأد الإرهاب، لذلك فقد حدد التقرير بعض النقاط التي تُعدُّ من الغزو الفكري، وهي على النحو الآتي:

١. إنشاء مدارس أمريكية في مختلف البلاد العربية لجميع مراحل التعليم وأن تكون مؤهلة للالتحاق بالجامعات الأمريكية.

٢. الاعتماد على الخبراء والأكاديميين الأمريكيين في إدارتها مع تطعيمها بأكبر عدد من خبراء التعليم العرب.

٣. تنظيم دورات تدريبية وتأهيلية مشتركة للمعنيين بالعملية التعليمية في البلاد العربية أو في أمريكا تتضمن برامج تؤكد الصورة المثلى الأمريكية.

٤. ألا تكون تكاليف الالتحاق بهذه المدارس عالية لتشجيع الانخراط فيها.

٥. لا تقتصر المناهج على المقررات الدراسية وإنما سيتم تخصيص جزء كبير منها لتشجيع المشاركة السياسية والديمقراطية.

٦. إنشاء نوادٍ داخل المدارس يطلق عليها نوادي الحرية الأمريكية لممارسة تطبيقات

(١) تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها، د. مصطفى منصور، ١/ ١٣.

الديمقراطية الأمريكية.

٧. دعم إنشاء المدارس من خلال سلسلة من المصالح والمشروعات والمؤسسات الاقتصادية الأمريكية وهذه المشروعات ستضمن فرص عمل لخريجي المدارس والجامعات الأمريكية برواتب مغرية.

٨. تخصص المذكرة فقرات حول تشجيع تعليم البنات وهناك خطط جاهزة لتدريب المرأة العربية لقيادة حركة تطوير المرأة.

٩. يتم البدء في هذا المشروع من عام ٢٠٠٣ وتبدأ الدراسة الفعلية ٢٠٠٥.

١٠. دعم وتقوية اللامركزية السياسية وبرامج الحكم المحلي خاصة في مجالات التعليم.

١١. وجود برنامج منفصل للترجمة إلى العربية من خلال كتب تعالج الاقتصاد والتربية وتشكل مراجع توزع على المؤسسات.

١٢. ترجمة كتب مبسطة حول أنماط الحياة الأمريكية، مع قصص رمزية ترسخ أهدافا وقيما معينة توزع على طلبة المدارس، وإدخالها في صلب المناهج التعليمية وتشرف على حركة الترجمة وزارة الخارجية الأمريكية.(١)

وعليه فلا بُدَّ لنا من إيقاظ مجتمعنا من هذا السبات، فالغرب ومن تعاون معه يعمل ليلا ونهارا من أجل تغيير أخلاقنا عبر تغيير مناهجنا، لكي تكون له السيادة علينا وعلى جميع الدول الاسلامية، ونبقى نعيش تحت وصايته، ومن ثم يملي ما يشاء علينا من الأفكار الضالة، والعقائد الفاسدة.

ومن الواجب أيضا أن يكون طلابنا على اطلاع تام، على هذه الخطط الخبيثة، حتى

(١) ينظر: الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٤م:ص١٠٧-١٠٩.

نرى منهم الحزم والعزم على إفشالها، لأن الذي لا تحمله الغيرة على دينه وعقيدته وأرضه، فهذا قد انعدمت منه القيم والأخلاق، وأصبح في هاوية الفساد والنفاق، وما يشهده بلدنا اليوم من تحول ديموغرافي وعقيديّ، يجعلنا نستشعر هذه الحقائق، كي نضع لها الحلول اللازمة قبل فوات الأوان.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن يهدينا لما فيه مصلحة بلدنا وأمتنا، إنه نعم المولى والقادر على ذلك.

❊ ❊ ❊

المصـــادر

بعد القران الكريم

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد محمد البنا (ت١١١٧ه)، تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب - بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.

٢. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت١٤٢٥هـ)، دار القلم، ط٨، دمشق، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٤. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٥، دمشق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥. أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان (ت:١٤٣٥هـ)، ط٣، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧. تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها، د. مصطفى منصور.

٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ه ـ

٩. التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٧م.

١٠. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٢. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٣. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ابن مسكويه ، تقديم : حسن تميم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
١٦. الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.
١٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨. الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٤م:ص١٠٧-١٠٩.

١٩. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٠. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط:٢٧ ، بيروت- الكويت، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٢٢. الزهد والورع والعبادة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: حماد سلامة أ محمد عويضة، مكتبة المنار، ط١،الأردن، ١٤٠٧ه.

٢٣. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢٤. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (٢٠٩ ، ٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر : ١٩٩٨ م.

٢٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٦. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:

٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
٢٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط : الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٨. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١ه_٢٠٠٠م.
٢٩. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، دار القلم، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٠. طرائق تدريس التربية الإسلامية، محسن عبد الحميد وآخرون، مطبعة أوفسيت الوسام، بغداد، ٢٠٠٣م.
٣١. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الكلمة،ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٢. علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ط٢، الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٣. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، بيروت- القاهرة، ١٤١٢ هـ: ٤/ ١٨٩٧-١٨٩٨.
٣٤. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٥. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة:

الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت، ١٤٢٢ه.

٣٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٣٨. المسند الصحيح المختصر، (صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٩. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٤١. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٤٢. المنهاج في شعب الإيمان: لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق حلمي محمد فوده- دار الفكر.

٤٣. موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٤. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

45. [http://shamela.ws/index.php/author/1568].

46. [http://shamela.ws/index.php/author/907].